الضمير وقد تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** هذا من كلام الله تعالى
ادلوا من هؤلاء الكفار لو وسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا
محمول على الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا قال ابن بحر وهذه السورة كلها
كان في هذه السورة من ان المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين سمعوا القرآن
فرجعوا الى قومهم منذرين وكل ما فيها من ان المفتوحة فهي وحي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف
وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تاولها والله ان لو استقاموا
على الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت والله لو قمت
قال الشاعر اما والله لو كنت حرا ولا بالحرات ولا العتيق
ومن فتح ما قبل المخففة على تقدير اوحي الي انه وان لو استقاموا وعلى
امنا به ويستغني عن اضمار القاسطون لو استقاموا لفعلنا بهم
كذا وكذا وقيل بل المراد الانس لان الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق
انما يليق بالانس لا بالجن وايضا ان هذه الاية انما نزلت بعد ما
حبس الله المطر عن اهل مكة سنين اقصى ما في الباب انه لم يتقدم
ذكر الانس ولكن لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله انا انزلناه
في ليلة القدر وقال القاضي الاقرب ان الكل يدخلون فيه
قال ابن الخطيب ويدل على صحة قول القاضي انه تعالى اثبت
حكما معللا بعلة وهي الاستقامة فوجب ان يعم الحكم لعموم العلة
والغدق بفتح الدال وكسرها لغتان في الماء الغزير ومنه الغداق
للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت
عينه تغدق اي هطل دمعها غدقا وقرأ العامة غدقا بفتحتين
وعاصم فيما روى عنه الاعمش بفتح الغين وكسر الدال وقد تقدم
انهما لغتان **فصل** وان لو استقاموا قال ابن الخطيب
ان قلنا ان الضمير راجع الى الجن ففيه قولان احدهما ان المعنى
لو ثبت ابوهم على عبادته وسجد لادم ولم يكفر وتبعه ولده على
الاسلام لانعمنا عليهم كقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم ابوابا الاية وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية
وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء الى قوله ويمددكم باموال
وبنين الاية وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع لانه
هو اللائق بالجن الا الماء المشروب الثاني ان المعنى لو استقاموا الذين
استمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها ولم ينتقلوا عن الاسلام
لوسعنا عليهم الدنيا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن الاية والقول الاول اختيار الزجاج قال انه تعالى ذكر الطريقة
معرفة بالالف واللام فيرجع الى الطريقة المعروفة وهي طريقة الهدى
ومعنى لنفتنهم اي لنختبرهم هل يقومون بشكرها ام لا وان قلنا ان الضمير
يعود على الانس فالاحتمالان كما هما **قوله** لنفتنهم فيه دليل على ان الله
تبارك وتعالى يفتن عباده واجاب المعتزلة بان الفتنة هي الاختبار
كما يقال فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال واستدل المعتزلة بقوله
تعالى لنفتنهم فيه على انه تعالى انما يفعل لغرض واجيبوا بان الفتنة
بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الاية ليست للغرض في
افعال الله تبارك وتعالى **فصل** روى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احوف ما اخاف ما يخرج الله
لكم من زهرة الدنيا قال بركات الارض الحديث وقال عليه الصلاة
والسلام

والضمير في قوله لو استقاموا قيل راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم هو الاول صح

والسلام فوالله ما الفقر اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا فتنافسوا
فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما اهلكتهم **قوله** ومن يعرض
عن ذكر ربه اي عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه وقال ابن
زيد يعني القرآن وفي اعراضه وجهان الاول عن القبول ان قيل انها
في الكفار الثاني عن العمل ان قيل انها في اهل الايمان وقيل ومن يعرض
عن ذكر ربه اي لم يشكره **قوله** نسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون
يسلكه بالياء لاعادة الضمير على الله تعالى والباقي بالنون على
الالتفات وتقدم على ما تقدم من قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من اياتنا وقرا مسلم بن جندب نسلكه
مضمومة من اسلكه وبعضهم بالياء من تحت مضمومة وهما لغتان يقال
سلكه واسلكه وانشد
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة
وسلك واسلك يجوز ان يكونا ضمنا
معنى الادخال فلذلك يتعديان لاثنين ويجوز ان يقال يتعديان
الى احد المفعولين باسقاط الخافض كقوله تعالى واختار موسى قومه
سبعين فالمعنى يدخله عذابا او نسلكه في عذاب هذا اذا قلنا ان صعدا
مصدر قال الزمخشري يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب
لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله
عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني
واما اذا جعلناه اسما لصخرة في جهنم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن
عباس ان المعنى مشقة من العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة تقول
تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر المتقدم والمشي في الصعود
يشق وصعود العقبة الكؤود وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف
صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم وقال يكلف الوليد بن
المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل
ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا
بلغ اعلاها حدر الى اسفلها ثم يكلف صعودها فذلك دابه ابدا وهو قوله
سارهقه صعودا **قوله** وان المساجد لله قد تقدم ان السبعة
اجمعت على الفتح واوحي الي ان المساجد لله وقال الخليل اي ولان المساجد
فحذف الجار ويتعلق بقوله فلا تدعوا وجعلوه كقوله تعالى لايلاف قريش فانه
متعلق بقوله فليعبدوا وكقوله ان هذه امتكم اي ولان وقرا ابن هرمز
وطلحة وان المساجد بالكسر وهو يحتمل الاستئناف والتعليل فيكون
في المعنى كتقدير الخليل **فصل** والمساجد قيل هي جمع مسجد بالكسر
وهو موضع السجود وقد تقدم ان ما سمعه الفتح وقيل هو مسجد
بالفتح مرادا بها الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان
واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب والمعنى ان هذه
الاعضاء انعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله وقال عطا بن
اجل اعضاءك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة
والسلام اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وقيل بل جمع مسجد
وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي
المراد بها البيوت التي بنيها اهل الملل للعبادة وقال سعيد بن جبير قالت
الجن كيف لنا ان ناتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وان
المساجد لله اي بنيت لذكر الله وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا

King Saud University
Copyright King Saud University